



عبدالله الشعلان

في قرطاجنة.. حكاية قوارب كاسترو

وخسر كارتر في انتخابات إعادة الرئاسة أمام الرئيس الجمهوري رونالد ريغان الذي انتقد تصريح كارتر قائلًا: لو بقي هؤلاء المهاجرون في كوبا لسقط كاسترو“.

ثم قال: “كلاهما لا يدرك الحقيقة، كانا مخطئين، والأمريكان توجه عام لا يؤمنون بحرية الشعوب ولا مبدأ البداية والمساواة بين الأمم، يريدون أن يكونوا هم الأقوي، وهم دائمًا في المقدمة وهم المسيطرون الذين يتحكمون في مصائر الشعوب ومستقبلها“، وأضاف: “عندما زرت الولايات المتحدة بعد نجاح الثورة في العام ١٩٥٩ عارضاً الصداقة ومبدأ حسن الجوار، طلبوا مني الإبقاء على الهيمنة والاستغلال الأمريكي لاقتصادنا، وأن أطلب نسخة من نظامهم السياسي في بلادي والذي يسمونه النظام الديمقراطي، فرفضت ذلك وأجبت بكل صراحة ووضوح بأن الشعب الكوبي لا يُريد الديمقراطية التي تفرز عادة قادة فاسدين“.

واستند ليخود إلى البداية بالحديث عن هروب ديكتاتور كوبا السابق الرئيس باتيستا الذي احتفل بداية العام الجديد في هاافانا في العام ١٩٥٩، ثم توجه للمطار هاربًا إلى الولايات المتحدة، مصطحبًا معه ١٨٠ شخصًا من أتباعه وأعواله و١٠٠ مليون دولار أمريكي نقدًا، عندها لم أستطع لضيق الوقت الاستمرار في الجلوس ومتابعة حديثه المتعقبات، وغادرت المكان.

فيه على تجهيز أكثر من ٦٠٠ قارب بين كبير وصغير في ميناء هاافانا في أسرع وقت ممكن، وأعلنت للكوبيين أن القوارب جاهزة فمن يرغب في الذهاب أميركا فليذهب، فاحتشد أكثر من ٢٢٥ ألف كوبي أبحرت بهم القوارب متجهة إلى ميامي بولاية فلوريدا.

ضحك كاسترو وقال: “تفاجأ الأمريكيون واندعش كارتر عندما شاهدوا هذا العدد الكبير من القوارب تشق عباب البحر محملة بالألاف من المهاجرين متجهة إلى ميامي، فبادروا بإرسال سفنهم الحربية لاعتراض القوارب ومنعها من الاقتراب من ميامي، رفضت أميركا استقبالهم وحاصرتهم في البحر لأسابيع، وشاهد العالم بأسره هؤلاء البشر المغر بهم، مات منهم الأسف الشديد العشرات في عرض البحر من كبار السن والمرضى والنساء والأطفال، ولم تستطع أميركا مقاومة الضغوط العالمية واضطرت إلى وضعهم في ملاجئ في جزيرة جوانتانامو.

قال كاسترو: “إن هذه الحادثة تركت أثرًا طيبًا علينا في كوبا، فبعدما توقف أو انخفض كثيرًا عدد الكوبيين الراغبين في الهجرة إلى أميركا، وتخلص مجتمعنا من “الديدان worms”، كما قال بالحرف الواحد، وطورنا التعليم والخدمات الطبية وانتعش الاقتصاد، وتعلم الكوبيون كما تعلم العالم كله عدم الثقة في الأمريكان أو قبول دعوتهم للضيافة، كما أن الأمريكان تعلموا ألا يوجهوا دعوات مماثلة،

والجواسيس ونجحت في استقطاب مجموعة من الكوبيين إلى الولايات المتحدة وشكلت منهم ما سمي بـ “جيش كوبا الحر” بنية إعداده وإرساله إلى كوبا للإطاحة بالحكم الشيوعي فيها، ما اضطر كوبا في العام ١٩٧٠ إلى إصدار قانون يمنع الكوبيين من السفر والهجرة إلى الولايات المتحدة خوفًا من أن تجددهم المخابرات الأمريكية.

في مقابل ذلك وبعد عشر سنوات وفي العام ١٩٨٠، ويهدف زعزعة واحراج الحكومة الكوبية أصدر الرئيس الأمريكي جيمي كارتر تصريحًا موجهًا لجميع الكوبيين أعلن فيه استعداد الولايات المتحدة لاستقبال واستضافة أي عدد من الكوبيين الذين يرغبون في الإقامة في أميركا والذين سيحصلون على مرتبات مجزية وسكن مجاني.

قال كاسترو إن كارتر كان يهدف بكل وضوح إلى استقطاب عناصر كوبية جديدة انضمها إلى المعارضين الكوبيين المتواجدين في الولايات المتحدة، وظن أننا سننصاب بالهلع والذعر والخوف.

وأثناء أحاديثه وخطبه كان كاسترو يحرص على استجمال كل وسائل التعبير لتوصيل أفكاره بما في ذلك تقاسيم وجهه وحاجبي عينيه الكثيفين وحركات يديه وغيرها من وسائل شد الانتباه، لإقناع من يخطبهم بما يقول.

أضاف كاسترو أنه بعد صدور إعلان كارتر سارع بعقد اجتماع طارئ لحكومته تمّ الاتفاق

الأخوين الآخرين لفيدل أحدهما راؤول كاسترو الرئيس الحالي لكوبا.

في فترة القبوله وعندما توجه زملائي في الوفد للراحة استوقفني في إحدى الردهات مقر انعقاد المؤتمر مشهد كاسترو جالسًا مع عدد من المسؤولين الكوبيين مُحاطًا بعدد قليل من المشركين في المؤتمر ورجال الإعلام فيما يشبه اللقاء أو المؤتمر الصحفي، كان الجميع صامئًا يستمع بإصغاء وتركيز لما يقوله الرئيس، فقد كان كاسترو متحدًا لبقًا وحظيًا قادرًا موهبًا عرف بخطبه التي كان بعضها تمتد لساعات، مع تمكن شخصيته الجذابة وأسلوبه المميز في الخطابة من السيطرة على الحضور مهما بلغ عددهم واختلاف اهتمامهم وانتباههم.

وعندما وجدت مجالًا انضممت إلى المجموعة وأخذت أدون ما يقوله، وكان كاسترو مستمرًا في الحديث باللغة الأسبانية مع وجود مترجم فوري يترجم للغة الإنجليزية.

كان كاسترو يتحدث عن مقاومة بلاده وصمودها في وجه الحصار والاعتداءات الأمريكية على بلادها، وأشار إن أنه في مثل هذه الظروف لا شك في وجود خونة وانهراسيين وضعفاء الإيمان في المجتمع، ولكن كيف تتخلص منهم؟

قال كاسترو إن أميركا لم تكف بإحكام الحصار حولنا ومحاولة غزو أراضيها، بل إنها ظلت تعمل على تدمير اقتصادنا وزعزعة استقرارنا، وكانت المخابرات الأمريكية تجعد العملة

الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والوقوف على الجهاد في الصراع الدائر بين المعسكرين.

في مقرر انعقاد المؤتمر وفي ردهات الفنادق القريبة التي كانت مخصصة لإقامة الوفود كان هناك حضور مميز ومميز لقاده ومسؤولي دول عدم الانحياز، إلا أن شخصيتين حظيتا بالاهتمام الأكبر والأوفر واختطفنا الأضواء؛ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والرئيس الكوبي فيدل كاسترو.

كاسترو كان أبرز وألح الحاضرين دون منازع، وكان له حضور لافت مميز بقممته الطويلة وثقافته شعر لحيته والسيجار الكوبي المشهور الذي بالكاد كان ينفارق فمه.

والمعروف كذلك أن المستعمرين الأسبان الذين سيطروا على معظم دول أميركا الجنوبية لأكثر من ثلاثة قرون جلبوا معهم إلى تلك الدول الدين المسيحي الكاثوليكي ولغتهم الإسبانية وثقافتهم وتقاليدهم، ومنها “القبولة” التي يسمونها “السياسا” وهي فترة للراحة عند الظهيرة بين ساعات العمل، ويقال إن الأسبان بدورهم كانوا قد اكتسبوا هذه العادة من العرب عندما حكموا أسبانيا قرابة ٧٠٠ سنة.

كما نقل المستعمرون الأسبان أكثر من ثلاثة ملايين أسباني لهذه المستعمرات، ومنهم والد فيدل الذي وصل إلى أسبانيا كعامل في الزراعة ثم أصبح يملك مزرعة كبيرة لتسحب السكر، والجب أول أبنائه فيدل من علاقة غير شرعية بخادمته التي تزوجها فيما بعد وأجب منها

في العام ١٩٩٥ وبترشح من رئيس الوزراء صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة حفظه الله ورعاه، شرفني أمير دولة البحرين آنذاك المغفور له بإذن الله تعالى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه، بالإبارة عنه لترؤس الوفد المشارك في اجتماعات الدورة العادية عشرة لمؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذي عقد في مدينة كرتينا أو قرطاجنة بكولومبيا في الفترة من ١٨ إلى ٢٠ أكتوبر من ذلك العام.

وفي الطريق توقفنا في نيويورك حيث تحتفل الأمم المتحدة في ذلك العام بمرور ٥٠ عامًا على تأسيسها، وكانت المدينة مكتظة بملوك ورؤساء الدول والحكومات أو ممثليهم والوفود المرافقة الذين تقاطروا وملأوا الفنادق للمشاركة في تلك الدورة والاحتفال بالمناسبة، وقد مثل أمير البلاد في تلك الاجتماعات والاحتفالات سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة نائب رئيس الوزراء الذي كان وقتها وزيرًا للخارجية.

وكما هو معروف فإن حركة عدم الانحياز تأسست في العام ١٩٦١، وقد انطلقت بادرة التأسيس من زعيم أسباني هو رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو، وزعيم عربي أفريقي هو جمال عبدالناصر وزعيم أوروبي هو جوزيف بروس تيتو رئيس يوغسلافيا، وكان هدفها الانبعاث عن سياسات ومبادئ الحرب الباردة التي تصاعدت بين المعسكر العربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر